حركة التحرير الوطني
الفلسطيني
(فتح)

الفكر والتنظيم

(5)

دراسات تنظيمية

الفكر والتنظيم

لم يسجل حتى الان ان مجموعة من البشر قامت بتنظيم نفسها دونما هدف تسعى لتحقيقه. ولم يسجل التاريخ ان بناء تنظيم قد كان هدفا في حد ذاته. وان ما يسجله التاريخ هو ان كل التنظيمات باشكالها المختلفة كانت وسائل وادوات لتحقيق اهداف محددة. وقد يبرز عبر مسيرة التنظيم لتحقيق الهدف من يعطون اهتماما اكبر لمسالة التنظيم ويجاهدون من اجل الفصل ميكانيكيا بينها وبين النظرية التي من اركانها الهدف المنوي تحقيقه. وهذا الاهتمام البارز الذي يغرق في القضايا التنظيمية الشكلية والذي لا يخدم باي صورة في مجال الممارسة العملية هو الذي ولد النظرة تجاه هذا الاهتمام الزائد ونعتها بانها التنظيم من اجل التنظيم. وحقيقة هذا الوضع هو انه انحراف عن النظرية التنظيمية التي هي وليدة النظرية الثورية، تماما كما ان اهمال المسالة التنظيمية وايلائها مرتبة ثانوية من الاهتمام، هو ايضا انحراف عن النظرية الثورية.

ان بعض الاشكال البدائية للتنظيم والتي سادت في فترات تاريخية متفاوتة، وبنيت على قواعد متوازنة، كانت تستهدف في حقيقتها تأمين مصلحة مشتركة تفرضها طبيعة الظروف.

فالقبلية، والعشائرية كاننا حتى فترة وجيزة تشكلان الروابط التي بها يجد الفرد نفسه ملتحما بالجماعة، واقفا الى جانبها مؤازرا في السراء والضراء كما انه يجد الجماعة تدعمه وتقف الى جانبه في كل الظروف. هذا شعور بالانتماء والالتزام بالمجموعة كانت تفرضه طبيعة مصلحة الفرد من جهة ومصلحة المجموعة من جهة اخرى.

ولقد قامت اشكال مختلفة من التنظيمات التي عملت من اجل تحقيق السرقة في حالة تنظيم عصابات اللصوص وقطاع الطرق والقراصنة، الى الاستيلاء على السلطة في حالات التنظيمات السياسية. واذا كانت القاعدة السائدة التي يجمع عليها تنظيم القراصنة هي الاقرار للزعيم بالقيادة المطلقة، فان التنظيمات السياسية تتفاوت فيها هذه القاعدة بين تحقيق الشكل القرصاني عندما يسود التنظيم مبدا المركزية المطلقة والاستبدادية الفردية كما هي الحالة في التنظميات الفاشية الى تحقيق الشكل المشاعي الفوضوي عندما يسود التنظيم مبدا الديمقراطية المطلقة والليبرالية والفوضوية، الى تحقيق الشكل الثوري الذي تكون فيه المركزية الديمقراطية هي المبدا الرئيسي للتنظيم.

تقوم التنظيمات السياسية دائما على اسس نظرية قد تكون علمية متكاملة او غيبية مبتورة. ويعود ذلك الى طبيعة المنهج الذي على اساسه تستنبط النظرية... وصحة النظرية لا تتوقف على تحديدها الصحيح للهدف وانما على تحديدها الصحيح للاسلوب الذي به ستصل الى تحقيق الهدف. ولا يمكن تحديد الاسلوب الصحيح الا اذا حددت المبادئ والمنطلقات النظرية تحديدا صحيحا.

وليس غريبا ان نجد مجموعة من التنظيمات السياسية في المجتمع الواحد تسعى لتحقيق هدف واحد، ولكن لكل من هذه التنظيمات اسلوبه الخاص لتحقيق الهدف. ويرجع هذا التباين في اختيار الاسلوب الى حقيقة التباين في مناهج التحليل المستخدمة لتحليل الواقع وتحديد المنطلقات والمبادئ الاساسية للتنظيم السياسي، والتي تشكل ركيزة اساسية من ركائز النظرية السياسية. فاذا ما اعتمد المنهج في نظرته الى الواقع وتحليله على المنطق الصوري في المعرفة فانه يرى الواقع من بعض جوانبه وفي حالة السكون في الزمان والمكان.

كما انه لا ينفذ الى جوهر المشكلة وانما يكتفي بعكس بعض ظواهر الواقع. وبما ان مهمة التنظيم

السياسي هي حل التناقضات الموجودة في الواقع، فان المنطق الصوري يحاول ان يضع حلا للتناقضات الموجودة في الواقع تتحدد نتيجة عدم الشمولية والاستطراد في التفكير. ولهذا نرى هذه التنظيمات السياسية وان كانت قد اصابت في اجابتها على سؤال ماذا نريد؟... فانها تخطئ في تحديد المنطلق، في تحديد من نحن؟ من هم اصدقاؤنا؟ من هم اعداؤنا؟... الخ. والخطا في تحديد المنطلق يقود حتما الى الخطا في اختيار الاسلوب، في تحديد كيف نحقق ما نريد؟ وكل ما تقدمه هذه التنظيمات السياسية في مسيرة النضال هو وضع العراقيل امام التوجه العلمي نحو الحقيقة، نحو تحديد التناقضات الموضوعية ووضع الحل الصحيح لها. ولا يمكن تحديد التناقضات الموضوعية في الواقع المحدد الا اذا كانت النظرة لهذا الواقع تتسم بالشمولية ولا تقف عند مجرد عكس جانب من الاشياء، وهذا ما يميز المنطق الديالكتيكي عن المنطق الصوري. والى جانب الشمولية فان المنطق الديالكتيكي لا ينظر الى الاشياء في حالة الثبات والسكون وانما ياخذها في مسيرتها التطورية، متابعة طبيعة التناقضات التي كانت فيها، والتي لا تزال، والتي تنشا فيها من جديد. وقوانين الديالكتيك تتجاوز النظرة المحددة لقوانين المنطق الصوري وافقه الضيق لتشتمل على وجهة نظر اوسع واعمق في العالم. وهذه النظرة الشمولية التطورية للمنهج القائم على اساس المنطق الديالكتيكي تكتمل بتحديدها نقاط التوازن الديالكتيكي بين الاشياء، وتحولها بالتراكم الكمي الى نوعيات جديدة وما يتبع ذلك من نفي الواقع لما كان، ونفي المستقبل لما هو كائن، وهكذا.

ان تطبيق قوانين الديالكتيك على دراسة التفكير يخلق كل الظروف للنفاذ الى جوهره. فالمنطق الديالكيتكي يكشف عن ديالكتيك المعرفة اي عن قوانين.

تطورهما بما في ذلك تطوراشكال التفكير. وهذا يعني ان المنطق المذكور هو عبارة عن تعاليم عميقة وشاملة عن تطور المعارف الانسانية بصفتها انعكاس لتطور العالم المادي.

وهكذا يبدو واضحا الفرق بين تحديد المنطلق ومن ثم الاسلوب على اساس المنطق الصوري وبين تحديدهما على اساس والمنطلق والاسلوب يحدد النظرية السياسية...

الاستراتيجية والتنظيم

ان التحرك من حيث نحن الى حيث نريد، من المنطلق الى الهدف يتم عبر الاسلوب المحدد. وهذا الثالوث المشكل للنظرية لا يضعها موضع التنفيذ الا بالممارسة. ولا تتم هذه الممارسة الا اذا تمت ترجمة الفكر... (النظرية) الى حالة مادية مجسدة بالانسان. هذه الحالة المادية للفكر النظري والتي تحمله من اجل تحقيق ذاته هي التنظيم. ان تتبنى مجموعة من البشر لفكر النظرية وممارستهم من اجل تجسيدها ماديا يتطلب وجود قاعدة تنظيمية تربط افراد التنظيم بعضهم ببعض، وتحدد طبيعة علاقاتهم، وتضع الحلول لكل ما ينشا عن هذه العلاقات من تعارضات. هذه القاعدة التنظيمية هي اساس النظرية التنظيمية التي لا يمكن فصلها باي شكل من الاشكال عن النظرية السياسية...

عن الفكر .. عن الاستراتيجية السياسية... وهذا يعني ضرورة التلاؤم الاستراتيجي بين الفكر والتنظيم. والذي يحدد الاستراتيجية التنظيمية والمبدا الرئيسي للبنية التنظيمية هو نظرة الفكر الى الجماهير، الى امكانياتها، وطاقاتها، ودورها التاريخي في التغيير والتطوير اولا ثم الاسلوب الذي يحدده الفكر ليحقق الاهداف ثانيا.

الفكر والجماهير

ليس من السهل وضع حد فاصل بين نظرة واخرى الى الجماهير والى دورها قبل ان تحدد الفواصل بين النظرات المتفاوتة في تحديد من هي الجماهير واي الفئات والطبقات تضم. وحيث ان للجماهير مفهوما مختلفا لدى الافكار المختلفة فان الانسجام بين الفكر ونظرته الى الجماهير لتحديد من هي وما هو دورها يعطي نظرية تنظيمية منسجمة وعلى اساس مبدا رئيسي منسجم مع الفكر. فعندما يحدد فكر ما ان الجماهير تعني كل الشعب او كل الامة دون تحديد لطبيعة المرحلة التاريخية والتطورية التي يمر بها الشعب او الامة فان هذا يعني ان السلطة هي في الحقيقة في يد جزء من الجماهير في يد جزء من الشعب. وان الطموح يتلخص في تمثيل اوسع هذا يعني ان السلطة هي في الحقيقة في يد جزء من الجماهير، للشعب وللجماهير داخل السلطة. وهكذا خطوة خطوة تزداد المشاركة الشعبية لتصل في النهاية الى تحقيق حكم الشعب ... تحقيق الديمقراطية.

وعندما يحدد فكر اخر ان الجماهير تعني ذلك الرعاع او السواد او الغواء او القطيع الذي لا شان له والذي كل مهمته خدمة السادة النبلاء والالهة البشرية في فان هذا الفكر يرفض بصورة الجزم امكانية ان تشارك الجماهير في السلطة، وينفي امكانية الاستفادة منها لغير العمل اليدوي الالي... عمل العبيد لخدمة السادة.

ان المنطق الصوري يمكن ان يضعنا امام العديد من النظرات المجزوءة الى الجماهير والى تحديد من هي الجماهير الشعبية وبالتالي نظل اسرى عدم الشمولية والجمود.

وللخروج من هذا الاسر نجد لزاما علينا ان ننطلق الى الافق الارحب والاكثر تطورا في تحديده للجماهير الشعبية في المراحل التاريخية المختلفة وعبر الظروف الطارئة. فبالنسبة للمجتمع المشاعي البدائي لم يكن الفرق بين اصطلاح (السكان) و (الشعب) ذا اهمية جوهرية. اما في المجتمعات المتطاحنة فان هذا الفرق هام للغاية، لان هناك هوة تزداد عمقا بين الجماعات المسيطرة وجماهير الشعب، وعندما يلغي استغلال الانسان للانسان في المجتمع الاشتراكي يعود مفهوم الشعب ليغطي ثانية كل السكان وكل الجماعات الاجتماعية.

وعبر الانتقال من مرحلة المجتمع المشاعي البدائي الى مرحلة المجتمع الاشتراكي فان تحديد مفهوم الجماهير الشعبية هو الذي سيحدد مدى صحة نظرة الفكر للواقع وبالتالي قدرته على تحديد المنطلق الصحيح في كل مرحلة من مراحل التطور الاجتماعي. ومن هنا تحديد مفهوم الجماهير الشعبية في المجتمع الاقطاعي لا يتطابق مع تحديده في المجتمع الراسمالي او المجتمع الطبقي. وهذه التحديدات تختلف عندما يعاني الوطن من كابوس استعماري امبريالي او استعماري استيطاني كما ويختلف عندما يواجه المجتمع حالة اقتلاع ونفي وطرد من الوطن.

واذا كانت مهمة الفكر في مرحلة من المراحل هي الدفع لانتقالها عبر الممارسة الى مرحلة ارقى في سجل التطور البشري فان الفكر الذي يتجاهل طبيعة الواقع ويعمل على الانتقال بالطفرة من مرحلة اجتماعية بدائية الى مرحلة متطورة دون المرور بمستلزمات التطور الاجتماعي والمراحل الوسيطة، هذا الفكر يكون قد اخطا اول ما أخطا في تحديده لمفهوم الجماهير الشعبية في مرحلة الواقع. فالمجتمع الاقطاعي الذي يسود فيه اي من الثالوث الاقطاعي، الاقتصادي، السياسي او الديني او كلها مجتمعة ويتحكم بكافة فئات الشعب الاخرى التي هي خارج السلطة وتحت نير استغلالها، هذه الفئات تشكل جماهير الشعب لانها اولا صاحبة المصلحة الاساسية في تقدم المجتمع. ولانها ثانيا تمتلك القدرة على التغيير. وجماهير الشعب في تلك المرحلة تتكون من الفلاحين، والعمال، والحرفيين، والبرجوازية الناشئة. واذا كانت الليبرالية قد لعبت دورا ثوريا للانتقال من مرحلة الاقطاع الى مرحلة الراسمالية فانها ليست

كذلك في مسيرة الانتقال من مرحلة الراسمالية الى مرحلة الاشتراكية.

والانتقال من مرحلة المجتمع الاقطاعي الى مرحلة المجتمع الراسمالي يغير خريطة الانتماء للجماهير الشعبية. ففي ظروف الراسمالية تتعارض البرجوازية الكبيرة مع الجماهير بينما تقف البرجوازية الصغيرة ضمن الصف الجماهيري الذي يضم الطبقة العاملة والفلاحين وفئات المثقفين الثوريين.

واذا كان القفز عن المراحل التاريخية للتطور البشري غير ممكن فان التداخل بين هذه المراحل ومواجهة مرحلة كالراسمالية مع بقايا مرحلة كالاقطاع هو امر وارد حيث ان مرحلة الصراع الطبقي في البلدان النامية تواجه عادة بقايا عصر الاقطاع الذي تدعمه الامبريالية.. اعلى مراحل الراسمالية.

ان هذه التحديدات المختلفة لمفهوم الجماهير في المراحل التاريخية المختلفة يقصد منها تحديد تاثير هذا المفهوم الفكري للجماهير عند محاولة ترجمة الفكر الى حالته المادية. واذا كنا قد سقنا الامثلة عن مفهوم الجماهير عبر الانتقال التاريخي في مراحل التطور الاجتماعي فان ما نواجهه اليوم وفي هذا العصر هو في الحقيقة مرحلة تاريخية محددة هي مرحلة الراسمالية واعلى مراحلها الامبريالية والتي تاخذ نتيجة للظروف المختلفة من بلد لاخر اشكالا مختلفة. وتحديد مفهوم الجماهير في هذه المرحلة يخضع لعاملين اساسيين، اولهما موضوعي وهو التحديد الذي تفرضه طبيعة المرحلة التاريخية، والاخر ذاتي وهو التحديد الذي يفرضه الشكل الامبريالي الذي يواجهه كل قطر او بلد على حدة.

فالمفهوم الموضوعي للجماهير الشعبية في البلد الراسمالي يعني كل الطبقات في ذلك البلد والتي هي عمليا خارج السطلة.

وينعكس التناقض الاساسي في الراسمالية بين الطبيعة الاجتماعية التناقض للعمل والشكل الراسمالي الخاص للتملك في التطاحن بين الطبقتين الاساستين في المجتمع الراسمالي، وهما البروليتاريا والبرجوازية. وتقف الى جانب البروليتاريا في تطاحنها مع البرجوازية. وتقف الى جانب البروليتاريا في تطاحنها مع البرجوازية الراسمالية الحاكمة كل الفئات التي تتبنى الفكر البروليتاري الاشتراكي او التي تعادي بدرجة ما الفكر الراسمالي الامبريالي. واذا كان من الواضح ان التحديد الموضوع لمفهوم الجماهير في مرحلة الراسمالية يتضمن بصورة اساسية الطبقة العاملة (البرولتياريا) فان الوضع الذاتي للحالات التالية يضيف قطاعات واسعة من الشعب ليتحدد منها مفهوم الجماهير.

الحالة الاولى:

البلدان التي يحكمها الاستعمار حكما مباشرا ويعمل بذلك على خلق طبقة من البرجوازية الحاكمة المستفيدة من وجوده. في هذه الحالة فان الجماهير الشعبية تضم العمال، والفلاحين، والبرجوازية الوطنية، ويكون هدف كل هذه الفئات هو التخلص من الاستعمار وطرده وتحرير الوطن. وتحدد مرحلة التخلص من الاستعمار بمرحلة التحرر الوطني.

الحالة الثانية:

البلدان التي يدعم فيها الا ستعمار حكامها الطبقيين ويدعم وجودهم للحفاظ على المجتمع الراسمالي الاستغلالي فيها مستفيدا بذلك من تحقيق مصالح استراتيجية عسكرية او اقتصادية. في هذه الحالة يتداخل النضال ضد التدخل الاستعماري من جهة وضد الاستغلال المحلي من جهة اخرى

ويتداخل بذلك النضال الوطني والنضال الديمقراطي في مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي والتي تضم جبهة الشعب العريضة من العمال والفلاحين والبرجوازية الوطنية مع الحرص على اعطاء البرجوازية الوطنية دورها الممكن في النضال دون المبالغة وذلك لضمان قيادة فكر الطبقة العاملة لهذه المرحلة.

الحالة الثالثة:

البلدان التي تعاني من تدخل استعماري ليس مباشرا فحسب... وانما استيطاني يقتلع المواطنين الاصليين ليحل مكانهم غرباء هم ادوات لتنفيذ المخططات الامبريالية.

وهذا الشكل من الاستعمار العنصري الذي لا يتورع عن ابادة السكان الاصليين اذا لم يحقق طردهم، يشكل اعلى مراتب الامبريالية وهو بالتالي يستقطب لمواجهته كل الشعب... كل المظلومين والمطرودين. واذا كانت الفوارق الطبقية لفئات الشعب قبل طردهم او احتلال وطنهم ومصادرة ممتلكاتهم كانت ظاهرة لتقسيمهم طبقيا فان حالة التشرد والنفي والاقتلاع تجعلهم يشكلون طبقة المطرودين او الماسورين بالاحتلال الذين لهم جميعا مصلحة اساسية في تحرير الارض واستعادتها. اما الافراد من هذا المجتمع المقتلع والذين يعملون مع العدو او مع الامبريالية لتكريس الاقتلاع مقابل مصالح شخصية مادية فلا يجوز اعتبارهم او جمعهم ضمن طبقة محددة. وفي ظرف ذاتي كهذا يصبح التقسيم الحقيقي للمجتمع المطرود او المحتل استيطانيا هو كون الانسان فيه وطنيا او غير وطني ويصبح التركيز فيه وتعبئة الجماهير التي تضم كل الشعب على اساس ايديولوجية وطنية هدفها الاول والاساسي والرئيسي هو تحرير الوطن وطرد الا ستعمار والمستوطنين الغرباء وتحكم هذه الحالة الذاتية قوانين مرحلة التحرر الوطني.

ان الفكر الذي يحدد مفهومه للجماهير في كل مرحلة ويحدد درجات الانتماء الجماهيري عند الفئات المختلفة ودرجات مصالحها ومدى التحامها الاستراتيجي وتصميمها على المضي لتحقيق الهدف النهائي، هذا الفكر يحدد طبيعة البنية التنظيمية على اساس التهديد لمفهوم الجماهير. فلا يجوز ان يعمد الفكر لبناء التنظيم من افراد ينتمون الى الطبقة البرجوازية في مرحلة الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية كما وانه لا يجوز ان يحرم البرجوازية الوطنية من حقها في الانتماء لحركة التحرر الوطني في مرحلة مصارعة الاستعمار باشكاله المختلفة. ان التوازن في البنى التنظيمية بين لبنات الخلايا التنظيمية وفئات الجماهير يجعل الهرم التنظيمي صلبا من جهة وممثلا للجماهير من جهة اخرى ومنسجما تمام الانسجام مع الفكر من جهة ثالثة. ان تحديد الفكر لمن هي الجماهير. ولمكوناتها في المراحل المختلفة يتبعه تحديد الفكر للدورالتاريخي الذي تلعبه الجماهير من اجل تحقيق مصالحها. واذا كان تحديد مفهوم الجماهير يحدد طبيعة لبنات لبناء التنظيمي فان تحديد دور الجماهير هو الذي يحدد القاعدة الاساسية للبنية التنظيمية. الاسمنت الذي به تترابط اللبنات وتتلاحم من اجل بناء الهرم التنظيمي. ويتداخل مع تحديد الدور التاريخي للجماهير تحديد دور الافراد القياديين. تحديد دور الشخصية في التاريخ ومدى درجة تحديد الفكر للتوازن او للانفصام بين دور الجماهير ودور الشخصية البارزة في التاريخ.

ان حالة الانفصام قد نتجت عن فكرين متناقضين في النظرة الى دور الجماهير. والى دور الشخصية البارزة في التاريخ.

النظرة الاولى:

وهي ترى ان الجماهير تستطيع بصورة اسطورية وبدون اي شرط ان تفهم العمل الثوري فهما

واضحا. وان الثورة (كما يراها باكونين احد مؤسسى مذهب الفوضوية).

هي عمل شعبي تلقائي ثلاثة ارباعه خيال وربعه واقع وتنظيم. وان المهم في الثورة هو اثارة الجماهير للقيام باعمال طائشة من التدمير والقتال والتخريب.

وهذه النظرة ترفض بناء التنظيم الثوري على اساس قواعد محددة وانما تعتبر ان حرية الفرد وتحقيقه لمصلحته الشخصية هو الذي يحقق المصلحة العامة للمجتمع. وهذه النظرة هي في حقيقتها مزيج من المذهب الفوضوي والمذهب الليبرالي. وفي احسن حالات هذه النظرة الى التنظيم فان ما يتنج عنها هو تنظيم اصلاحي نقابي ذو شكل هلامي انفلاشي مزاجي النزعة لا يحوي اي درجة من الالتزام تسود فيه الديمقراطية المطاقة والحرية الفردية. وهذه النظرة يتساوى عندها جميع الا فراد، وهي تنكر دورالشخصيات البارزة في التاريخ وترفض اي نوع من المركزية وتطمح الى تحطيم كل اشكال السلطة.

النظرة الثانية:

وهي ترى ان الجماهير ليست سوى قطيع من العبيد الذي لا شان له ولا مهمة الا تعبيده الطريق امام نشاط الفرد الجبار. وتعتمد هذه النظرة على ايديولوجية مزدوجة شقها الاول يتخصص في تغذية روح الخنوع بين الشعب العامل لتحقيق (اخلاق العبيد). وشقها الثاني يتخصص في تربية فريق من السادة (اخلاق السادة) والمنظر الاساسي لهذه النظرة هو الالماني نيتشه الذي من افكاره استمدت الفاشية نظريتها بتاليه الفوهرر. ان الدور الاساسي في التاريخ تعطيه هذه النظرة للشخصية .. للفرد.. للزعيم، وهي ترى ان دور الجماهير في التاريخ هو دور الكتلة السالبة التي يعطيها ويهيئ لها مصالحها وعظمتها الزعيم. وان وجود الزعيم او عدمه هو الذي يعطي الشعب او الامة دورها التاريخي ، وان هذا النوع من النظرة الى الزعامة تكرس عبادة الفرد حتى بعد ان يموت.

والى جانب تقديس اهمية دور الشخصية.. والزعيم، يبرز تقديس اهمية دور الطليعة المكونة من عدد محدد من البشر ياخذ شكل تنظيم النخبة الواعية التي مهمتها ان تعمل بدلا عن الجماهير اللاواعية ومن اجلها. ان بناء التنظيم حسب هذه النظرة الى الجماهير يقوم حتما على اساس من الدكتاتورية والاستبدادية الفردية والمركزية المطلقة. ان حالة الانفصام قد ولدت قاعدتين رئيسيتين للبنى التنظيمية هما الليبرالية والدكتاتورية الاستبدادية، ولكن حالة التوازن بين دور الجماهير ودور الشخصية يعبر عنها الفكر الثوري يخلق تنظيم طليعي يؤمن اول ما يؤمن، وتقوم نظريته الثورية على اساس خط الجماهير الذي هو: التاكيد في النظرية والممارسة على:

- ان على الجماهير الشعبية ان تحرر نفسها بنفسها.
- ان المهمة الاساسية للطليعة هي الخدمة الصادقة للجماهير. وان دورها القيادي للجماهير هو ان ترشدها الى الطريق الصحيح في نضالاتها وان تساعدها على ان تتحرك للعمل هي نفسها لتخلق حياة سعيدة.
- ان الحركة الطليعية للجماهير وليست بديلا لها. وهذا هو الفرق بين نظرية الطليعة في التنظيم وبين نظرية النخبة، حيث ان تنظيم الطليعة يعمل مع الجماهير وللجماهير، يتعلم منها ويعلمها. بينما لا يعتمد تنظيم النخبة على الجماهير.

قد يعتقد انه يعمل لمصلحتها في الوقت الذي يعمل لمصلحة عدد محدود من البشر الذين لن يكونوا احسن حالا اذا استولوا على السلطة من الذين سيطردونهم.

ان الفكر الثوري الذي يوازي بين دور الطليعة والجماهير... دور القيادة والقاعدة يتحتم عليه ان يقوم على اساس قاعدة تتوازن فيها المركزية والديمقراطية في وحدة لا تنفصم ولا تسمح بطغيان احداهما على الاخرى. هذه القاعدة هي المركزية الديمقراطية. وهي تظل المبدا الرئيسي للبنية التنظيمية ما دامت درجة التوازن الديالكتيكي بين المركزية والديمقراطية لم تصل الى اللحظة الحرجة التي ينتج عندها تحولات نوعية تؤدي الى الاطاحة بالمركزية الديمقراطية كمبدا لينتج عنها اما حالة من الاستبدادية الدكتاتورية او حالة من الفوضوية الليبرالية.

الفكر والاسلوب:

ان تحديد الفكر والاسلوب الامثل لتحقيق الغاية يرتبط اساسا بتحديد من هي الجماهير الشعبية وما هو دورها في التغيير.

وهو يرتبط اولا بالتحديد الشامل للمنطلق.. لمن هم اعداء الجماهير ولمن هم اصدقاؤها. فالاسلوب المحدد وتاثير الجدلي بالمنطلق والهدف يجعل من التلاؤم الاستراتيجي بين النظرية الثورية والنظرية التنظيمية تلاؤما حتميا بين الاسلوب والاستراتيجية التنظيمية، واذا كان هدف التنظيم السياسي هو الوصول الى السلطة فان كل اسلوب يتجدد لتحقيق الهدف يتطلب بنية تنظيمية متلائمة معه. فالوصول الى السلطة اعتمادا على اسلوب المؤامرة الانقلابية يحتاج الى بنية تنظيمية خاصة تضم مجموعة محددة من الافراد.

ويقتضي هذا الشكل من التنظيم اعلى درجات السرية وبذلك يتحتم ان يقوم على اساس مبدا المركزية المطلقة. وان نجاح المؤامرة يفرز دائما الزعيم الدكتاتوري الذي يكرس تسليمه للسلطة مبدا الاستبدادية الفردية. اما الوصول الى السلطة عن طريق الثورة العفوية الشاملة أو عن طريق النضالات البرلمانية الاصلاحية فان طبيعة الشكل التنظيمي تتنافى مع اية درجة من المركزية الملزمة، وهي بذلك تعطي للفرد حريته المطلقة. فالفرد ينفذ ما يريد ويستطيع ان يرفض تنفيذ ما تريده المجموعة. ويتحكم في اية بنية تنظيمية مبدا انه ما دام لا يجوز للفرد ان يجبر العالم (لو استطاع ذلك) على تنفيذ ما يريده. وهذا الالتزام الهلامي يعطي بنية تنظيمية هلامية انفلاشية تقوم على اساس من الديمقراطية المطلقة... التي هي كما اشرنا سابقا مزيج من الفوضوية والليبرالية.

والفكر الثوري يكون اسلوبه في التغيير ثوريا. ورغم التاثير الاساسي للمرحلة التاريخية في النضال على اختيار اسلوب ثوري متلائم معها وهو قد لا يكون ثوريا البتة في مراحله المتقدمة، فان تصفية الاستعمار والامبريالية لا تتم الا عبر النضال الثوري المسلح في مرحلتي التحرر الوطني والتحرر الوطني الديمقراطي. ان اختيار حرب التحرير الشعبية الطويلة الامد اسلوبا استراتيجيا للنضال يحتم جعل البنى التنظيمية متلائمة مع هذا الاسلوب. فالتنظيم الثوري الذي يتصدى لتحقيق النصر والوصول الى التحرير عبر حرب التحرير الشعبية الطويلة الامد يتحتم ان يكون:

- تنظيما جماهيريا تشكل هرمه لبنات من القوى الشعبية التي تصنفها النظرية الثورية على انها ضمن الجماهير. وهذا يتطلب ايضا بناء المنظمات الجماهيرية النقابية والفئوية لتعزيز النضالات المطلبية للشعب وتحقيق الديمقراطية. ويشترط ان يقود التنظيم طلائع مؤمنة وكفؤة وقادرة على الحفاظ على خط الجماهير وحمايته من محاولات الانتهازيين والمترددين والقصيري النفس التي تهدف الانحراف بالثورة.
- تنظيما مقاتلا وهذا يتطلب بنية تنظيمية تقوم على اساس الانضباط الحر والمركزية الصارمة. ان

مبدا الانضباط العسكري كضرورة اساسية للتنفيذ وتحقيق النصر يشترط حرية القاعدة في التعبير عن ارائها وفي اختيار قادتها. ان مبدا ديمقراطية الراي ودكتاتورية التنفيذ هو تعبير عن التلاحم بين المركزية والديمقراطية بصورة لا تنفصم والذي هو تعبير عن تلاحم لا يجوز انفصامه بين القاعدة والقيادة.

- تنظيما يعتمد في قيادته على الجماعية. لان القيادة الجماعية هي المبدا الاساسي لقيادة التنظيم وهي شرط لا غنى عنه للنشاط الطبيعي للتنظيم على كافة المستويات.
- تنظيما يكون فيه النقد والنقد الذاتي مبدا اساسيا للبقاء وللتطور من خلال العلاقة الجدلية بين النظرية والممارسة ومن خلال التدخل في اللحظة المناسبة وبشكل مناسب بين الافعال او الاقوال ونتائجها، او بعد وقوع النتائج، وذلك لتاكيد النتائج الايجابية ودحض النتائج السلبية وتحديد حركة الافعال او الاقوال وتوافقها مع المنطلقات وكشف التناقضات التي كانت فيها والتي لا تزال والتي نشأت فيها من جديد.

التكتيك والتنظيم:

ان مهمة التنظيم هي تجسيد الفكر النظري، الاستراتيجية بالممارسة العملية. ولكن هذه الممارسة لا تتصدى لتنفيذ الاستراتيجية دفعة واحدة وانما عبر خطوات ننتقل وينتقل بها التنظيم من واقع الى اخر يكون اكثر تقدما نحو الهدف.

وكما يتحكم الفكر في التنظيم استراتيجيا فانه يتحكم به تكتيكيا ايضا. لقد حددت لنا اشكال التفكير المختلفة ثلاثة حالات اساسية وبينت ما هي طبيعة اللبنات التنظيمية في كل منها اعتمادا على تحديد الفكر لمن هي الجماهير. كما وانها حددت المبدا الرئيسي للتنظيم في كل منها. ان المبدا الرئيسي للتنظيم والذي هو حصيلة افراز حتمية للفكر هو الذي يحدد اساسا طبيعة التلاؤم الاستراتيجي بين الفكر والتنظيم وهو الذي يتحكم ايضا بطبيعة التلاؤم التكتيكي بين الفكر والتنظيم.

ان ابسط المبادئ الرئيسية للتنظيم والتي يفرزها الفكر الفوضوي والليبرالي هو مبدا الديمقراطية المطلقة والتي نعني فيها بمعنى الكلمة الفوضوية والليبرالية. وهذا المبدا كما اوضحنا لا يقوم على اساسه اي بناء تنظيمي سليم وانما ياخذ التنظيم شكل تجمعات هلامية انفلاشية. وحيث ان هذا الفكر لا يمتلك استراتيجية سياسية محددة فهو بالنتيجة لا يمتلك استراتيجية تنيظيمة محددة. فلبنات البنية التنظيمة فيه عامة وغير محددة يتساوى فيها نظريا جميع الناس.

والاستراتيجية الغير محددة تفرز حتما تكتيكات غير محددة، ولهذا فان طبيعة التلاؤم التكتيكي بين الفكر والتنظيم تصبح انعكاسا عن طبيعة التلاؤم الاستراتيجي الذي لم يحدد غير بنية تنظيميه انفلاشية هلامية مزاجية النزعة ولا يحوي اية درجة من الالتزام تسود فيه الديمقراطية المطلقة والحرية الفردية. ولهذا فان التكتيك لا يفرض على التنظيم (التجمع) ايه اشكال محددة في المراحل المحددة ولمواجهة المهام المحددة.

وعلى عكس الفكر الفوضوي الليبرالي فان الفكر الفاشي او الفكر التامري يحدد مبدا رئيسيا للتنظيم وهو مبدا المركزية المطلقة التي تعني بناء التنظيم الفاشي الدكتاتوري الذي تسوده نزعة الاستبدادية الفردية. هذا التحديد الواضح للقاعدة التنظيمية الى جانب التحديد الواضح ايضا لطبيعة لبنات البنية التنظيمية يؤكد حقيقة التلاؤم الاستراتيجي بين الفكر والتنظيم ويؤكد التلاؤم التكتيكي بين الفكر والتنظيمات ثبات المبدا الرئيسي وعدم مرونته وصرامته لا تعني بالضرورة ان تتخذ التنظيمات

المجسدة للفكر الفاشي التامري شكلا تنظيميا مختلفاً لتتلاءم مع طبيعة كل اسلوب محدد. فاذا كان الاسلوب المحدد هو القفز على السلطة عبر انقلاب وحل التناقضات دفعة واحدة فان الخطة التكتيكية تتطابق مع الخطة الاستراتيجية ويتطابق شكل التنظيم مع المبدا الرئيسي للبنية التنظيمية في حالة من السكون والجمود. ويكون هذا التنظيم ذو الشكل الواحد لتحقيق هدف واحد يتم الانتقال اليه دفعة واحدة. ان مثل هذا الفكر يتجه في الحقيقة لحل جزء من تناقضات الواقع الموضوعي اي انه أبعد بكثير من ان يكون فكرا استراتيجيا. ان الفكر التامري يرى في مجرد تغيير الاحكام انتقالا من الواقع الموضوعي الفاسد الى واقع ثوري تقدمي جديد دون ان ياخذ في الاعتبار كل المعطيات الضرورية لتحقيق الواقع الثوري. فالفكر التامري ينهار تماما. فالصدفة، والحظ يلعبان دورا اساسيا في تحديد الى اي بيان سيستمع الشعب. هل للبيان رقم واحد، ام بيان فشل محاولة مجرمة هدامة.

اما اذا كان الفكر الفاشي يتخفى خلف الشعارات البراقة كالاشتراكية الوطنية (النازية) ويعتمد في بنيته التنظيمية (الاداء) على الشباب العاطل عن العمل والضبابي الثورية والمتعلق بالمبدا الاستبدادي، فان التنظيم ياخذ الشكل العسكري المحض (فرق الصاعقة الهتلرية). ويقود الزعيم الفرد هذا التجمع الذي يتكاثر حول الكلمات الثورية والوطنية البراقة نحو غايته للوصول الى السلطة وتكريس طبقة السادة (الزعيم ومريدوه) وطبقة العبيد (الشعب).

ويتميز الفكر الثوري بامتلاكه لاستراتيجية واضحة ومحددة في خطها التطوري العام. وهو بذلك يحدد ان الوصول الى الهدف يتم عبر الانتقالات المتتالية من موقع الى اخر في اتجاه الممارسة. والممارسة اليومية للتنظيم هي التطبيق التكتيكي للخط الا ستراتيجي العام، وعليها فان التلاؤم الاستراتيجي بين الفكر والتنظيم يتجسد يوميا من خلال التلاؤم التكتيكي بين الفكر والتنظيم بين انسجام التنفيذ مع التخطيط والممارسة مع النظرية مع المحافظة وبشكل دائم وعبر كل الظروف على المبدا الرئيسي للتنظيم ضمن حالة من التوازن الديالكتيكي متطورة ومتغيرة فان تكتيكاته تتطور وتتغير ايضا. وهذا التغير بين المركزية والديمقراطية. وبما ان ظروف العمل الثوري تستدعي التلاؤم الدائم بين التكتيك والتنظيم. والفكر الثوري يؤمن ان النصر الكبير هو مجموع الانتصارات الصغيرة. وان مهمة التنظيم في كل مرحلة من مراحل النمو الثوري وفي كل خطة نحو الهدف ان يحقق انتصاره المرحلي. وهذا يتطلب ان يجسد التنظيم الحلقة المركزية للنضال في كل مرحلة وفي كل مهمة وان يتوجه نحو معالجته لتحقيق الهدف الاني بنفس الجدية التي يتوجه فيها لتحقيق الهدف النهائي. ان هذا يتطلب ان يفرز التنظيم لكل مرحلة ولكل ظرف ولكل مهمة شكلا تنظيميا متلائما يحقق تنفيذها بنجاح. ان المراحل الاولى للثورة والتي تكون فيها البؤرة الثورية الطليعية محدودة العدد تمتلك فكرا يستهدف تحقيق الشمولية وتتوجه بجماعها للخوض في دراسة الواقع الموضوعي باستفاضة عبر الاستقصاء الشامل للاجابة على كل التساؤلات وتحديد كل التناقضات الموضوعية. هذه المرحلة هي في الحقيقة مرحلة وعي الطليعة، مرحلة التحديد النظري للفكر الثوري. ويبن التنظيم في هذه المرحلة من لبنات انتقائية مختارة متقدمة الوعي والحس الثوري وياخذ التنظيم شكلا سريا مما يستدعي درجة عالية من المركزية على حساب الديمقراطية.

ويبدا النمو التنظيمي عبر التحام الطليعة بالجماهير وتفاعل الوعي الطليعي بحس الجماهير وتجربتها وما يتمخض عن هذا التفاعل من دروس متبادلة للطليعة والجماهير. هذا التفاعل يفرز طلائع واعضاء جددا ينضمون الى التنظيم.

ومع نمو التنظيم تنمو مهماته. فالتنظيم بحاجة الى توعية، وكذلك الجماهير. وهذا يقتضي اشكالا تنظيمية لتواجه مهام التوعية والتثقيف التنظيمي والجماهيري. ونمو التنظيم يقتضي تنفذ مهام الحماية والامن ، وهذا يتطلب اشكالا خاصة. ونمو التنظيم وتطور مراحله يتطلب الاعداد لمواجهة القوى المضادة

بالعنف المسلح. وهذا يعني التدريب العسكري.. ويتطلب ذلك اشكالا تنظيمية متطورة. ومع ممارسة الكفاح المسلح يبدا التسارع في افراز الاشكال التنظيمية المختلفة لتلائم طبيعة الزمان والمكان. فحرب عصابات المدن تحتاج لصيغة تنظيمية تختلف عن تلك التي في الريف. وتطور حرب العصابات الى مراحل متقدمة من حرب المواقع او الحرب المتحركة يحتاج لاشكال جديدة تنظيمية وواجهات جماهيرية. وفي كل حالة من هذه الحالات والتكتيكات فان المركزية الديمقراطية تظل في حالة من التوازن الديالكتيكي. فالسرية التي تقتضي مزيدا من الشكل السري للتنظيم والذي يعني مزيدا من المركزية، يقابلها جماهيرية التنظيم والذي يقتضي درجة من العلنية والذي يعني المزيد من الديمقراطية. والعمل المسلح يقتضي انضباطا عسكريا صارما يقابله النضال السياسي الجماهيري الذي يتطلب ديمقراطية اوسع. وهكذا تظل اشكال التنظيم في تطور مستمر مع العدو الثوري حتى الوصول الى مرحلة تشكيل القوات النظامية والذي يقتضي تلاؤما في الوضع التنظيمي مع الشكل العسكري. وهكذا يصبح التنظيم المسلح (المليشيا) جزءا من قوات الثورة وتصبح منظماته القاعدية مرادفة لمثيلاتها في القوات النظامية.

ان اهمية الشكل التنظيمي ليست فقط في المهمات النضالية التي يقوم بها التنظيم ضد العدو وانما في المهام التي يقوم بها لخدمة الجماهير. وان اهم ما يجب ان يراعيه البناء التنظيمي عبر المسيرة الثورية هو ان الواقع الثوري في كل مرحلة يشكل في نظر الجماهير الشعبية صورة للواقع الثوري بعد النصر. ان طبيعة العلاقات التي تسود بين اعضاء التنظيم بعضهم بعضا من جهة وبينهم وبين الجماهير من جهة اخرى هي التي تعطي الجماهير صورة العلاقة التي ستسود واقع المستقبل بين السلطة والشعب. فاذا كانت هذه الصورة ايجابية فان الجماهير ستتشبث بها وتدعم الثورة بكل امكانياتها وطاقاتها حتى تحقيق النصر اما اذا كانت صورة الثورة في اي من مراحل مسيرتها صورة سلبية تسود فيها علاقات شللية واستزلامية ومحسوبيات داخل التنظيم من جهة يمارس التنظيم تسلطا قمعيا واستبداديا على الشعب، فان الجماهير بحسها المرهف. يتقلص اندفاعها نحو الثورة حتى لا يتحول اندفاعها الى دعم المواقف الخاطئة ولصالح فئة متسلقة على اكتاف الثورة. ان انعزال الجماهير عن الثورة يعني انحراف الثورة عن خطها الاساسي.. خط الجماهير وهذا يعني مزيد من الهزائم والفشل. اذا لم يدرك الثوريون هذه الحقيقة، ويتفادون الانحراف الاكبر عن خط الجماهير في الوقت المناسب، ويقومون بالتقييم الصحيح وبتصحيح كل الممارسات الخاطئة، فان التنظيم سيفقد مركزيته الديمقراطية ويغرق في حالة من الانفصام الذي ينتج عنه حالة من الليبرالية الفوضوية والنزعات الفردية الاستبدادية وتكون النتيجة ان يفقد التنظيم مبرر وجوده. ان انحراف التنظيم عن الفكر الذي تجسد فيه لا ياتي دفعة واحدة وانما نتجية تكريس تراكمات الانحرافات التكتيكية. ولهذا فان مبدا المركزية الديمقراطية في توازنه الديالكتيكي يصونه ويحميه المبدا الاساسي للبناء التنظيمي الثوري، النقد والنقد الذاتي، والمبدا الاساسي لقيادة التنظيم الثوري، القيادة الجماعية.